مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

أ.أناهيد السميري

ألقي في دورة التفسير في شعبان ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

المثل الثاني في سورة إبراهيم آية ٢٤ إلى آية ٢٦.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:٢٤]

هذا المثل في هذه السورة سيتبين لنا من خلال السياق -هذه الاية والتي بعدها- كيف ضُرب مثل لأهل الحق وأهل الباطل، فلما ذكر الله عز وجل أنه ضرب مثلا هذه الكلمة كشجرة طيبة أخبر أنها ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى عن قيمة الأمثال قال: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٥] إذن ضُرب هذا المثل وغيره من الأمثال من أجل أن تتصور المسألة في ذهنك كما صوَّر لك المثل صورتها.

ما فائدة الأمثال؟ تتذكر، تفهم، في هذا المثال الإيمان مُثِّل بالشجرة، فانظر للشجرة لا تكون إلا بـ ٣ أشياء:

١. عرق راسخ في الأرض (جذورها)

٢. وأصل قائم (جذعها)

٣. وفرع عالي (الفروع)

كذلك الإيمان لا يتم إلا بـ٣:

١. تصديق بالقلب

٢. وقول باللسان

٣. وعمل بالجوارح

هذه الصور لما تبقى في قلبك تفهم أن قلبك أصْل صلاح شجرتك، والناس لما يسقون ما يسقون الفروع في الشجر بل يسقون الجذور، على ذلك من أجل أن تخرج ثمارك لابد من أن تغذي قلبك.

المقصد المهم أن تفهم أن هذا المثل لما ضُرب لك من أجل أن تتذكر وتتفكر، وأن الايمان في قلبك مثل الشجرة، وأن العلاقة بين الإيمان والشجرة أن الشجرة عبارة عن ثلاثة أشياء جذور وجذع وفرع، فهذا كله له صورته في إيمانك.

ننظر مرة أخرى لنفس الآيات..

-كما اتفقنا ننظر للآيات ثم ندور حول معناها ثم نقرأ تفسير الشيخ السعدي-

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ ماهو المثل الذي ضُرب؟ ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ الكلمة الطيبة هي التي ضُرب لها المثل.

الكلمة الطيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ثم وصفت الشجرة الطيبة ما وصفها؟ لها وصفان :

١. من الأسفل ثابتة ﴿اصلها ثابت﴾

٢. من الأعلى ﴿فرعها في السماء﴾

٣. وهناك أيضا وصف ثالث: أنها تؤتي ثمارها في كل وقت، يعني ينتفع بها في كل وقت.

إذن ما الصورة؟ وما الذي ضرب له المثل؟

ضُرب مثل للكلمة الطيبة مثل ماذا؟ كشجرة طيبة لها وصوفاتها جذرها في الأرض راسخ، فرعها في السماء عالي، ينتفع بها من كل وجه.

الآن السؤال: ما هي هذه الكلمة الطيبة ؟ ماذا تمثل الشجرة الطيبة ؟ نقرأ كلام الشيخ السعدي..

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي النخلة. ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ منتشر ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ وهي كثيرة النفع دائما.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾ أي: ثمرتها. ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ .

إذن الكلمة الطيبة هي لا إله الا الله، والشجرة الطيبة النخلة، هذه الكلمة الطيبة في قلب المؤمن مثل الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، ضرب مثل للكلمة الطيبة والكلمة الطيبة لا اله الا الله وفروعها، أين الكلمة الطيبة؟ في قلب المؤمن، هذه الكلمة الطيبة ممكن يقولها خبيث فما تنفعه، لكن لما يقولها المؤمن تصبح مثل هذه الشجرة.

فكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره.

إذن هذه الكلمة الطيبة التي هي كلمة لا اله الا الله وفروعها لما يقولها المؤمن، هذه الكلمة الطيبة لما تدخل إلى قلب المؤمن مثل الشجرة الطيبة، لها أصل ثابت ولها فروع في السماء، يعني إذا قلت هذه الكلمة من أجل أن تكون كلمة طيبة لابد أن يكون أصلها ثابت في قلبك المؤمن، كيف أصلها ثابت؟ بالإيمان، قلبك يكون ممتلئ إيمانا،

ثم تجد أن هذا الايمان سيخرج وراءه عمل صالح، سيخرج وراءه أخلاق مرضية، سيخرج وراءه أخلاق حسنة، هذا كله يصعد إلى الله، يصعد منك العمل الصالح إلى ربك، فيكون لك من الأقوال والأعمال ما ينفعك وينفع غيرك، مثل هذه الشجرة ثابتة في الأرض، فرعها في السماء، ثم أنها يُنتفع بها في كل وقت، فكذلك المؤمن يُنتفع به في كل وقت، ينفع نفسه وينفع غيره.

وعلى ذلك تفهم أنه على حسب درجة الإيمان يكون انتفاع الشخص من نفسه وانتفاع من حوله به، فكلما زاد إيمانك وتقواك انتفع بك كل أحد في الأرض حتى الجمادات تنتفع بك لما يزيد إيمانك، فترى العبد المؤمن ينتفع بكل شيء وينفع كل شيء، فينظر إلى ما خلق الله من جبال وأشجار فيتعبّد عبادة التفكّر والتأمّل والتسبيح، وينتفع بها كل شيء فلا تراه يؤذي ما خلق الله، لا يقطع الأشجار، ولا يُهلك الثمار.

وأعظم نفع ينتفع به مخلوقات الله في الأرض حتى الجامدة من المؤمن: أنه صاحب طاعة، فالذنوب سبب الفساد، والفساد إيذانًا بإهلاك كل شيء من نبات وزروع وماء وكل ما تتصور في الحياة.

المقصد أنك أيها المؤمن كلمة لا اله الا الله التي تدخلك في الإيمان مُثِّلت بالشجرة، فكلمة لا إله إلا الله هي سبب دخول الإنسان في الإيمان، فضُرب لها مثل بالشجرة، شجرة الإيمان أصلها في قلبك.

فإذا علمت أن أصلها في قلبك أسقيها بالاعتقادات الصائبة بالعلم النافع، واسقيها أيضاً بالأعمال القلبية النافعة، وهذا كثيرا ما يُغفل عنه، أن نسقي قلوبنا العلم النافع، ونسقيها أيضاً العمل الصالح فحركة قلبك بالخوف من الله، حركة قلبك برجاء الله، حركة قلبك بالتفتيش عن نيتك لماذا تفعل كذا لماذا تترك كذا، حركة قلبك في حسن الظن بالله، حركة قلبك في انتظار الفرج منه، حركة قلبك في الذل له وإخراج الكبر عن أحد من عباده، حركة قلبك في الرضا عما قسم لك لما ترى غيرك فُضّل عنك في باب من الأبواب.. كل هذا غذاء في أصل الشجرة في قلبك – شجرة الإيمان– فإذا غذّيتها تثمر لك على قدر ما غذيت.

واليوم ونحن مقبلين على هذا الشهر المبارك نسأل الله أن يجعله بركة علينا في أيامه ولياليه ودقائقه وثوانيه، اقبل على هذا الشهر وأنت مغذٍ قلبك بلا إله إلا الله، وبلا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا الذي ينفعك، أن لا يكون في قلبك أحد معظّم ترجو رضاه إلا الله، وأن تطلب منه الحول والقوة، طول الوقت استعمل لا حول ولا قوة الا بالله علّ الله يعطيك الحول والقوة لطاعته،

- فلا تشعر بالاستغناء عن رحمته
- ولا تشعر بالاستغناء عن قوته
- ولا تشعر بالاستغناء عن رضاه وقبوله للأعمال.

- فاسقي قلبك مشاعر الحاجة، أولًا الحاجة إلى أن يمتنّ عليك بالقوة والطاقة للعمل الصالح الذي يرضاه، يوفّقك له، ويهيّء ظروفه لك، ويعطيك القوة على القيام به.
- ثم اسقى قلبك بقوة اللجوء إليه أن يقبل منك العمل.

واستعمل في هذا كله العلم عنه، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [1] فعلم العبد عن الله يساعده على عمل القلب كما ينبغي.

[1] [البقرة : ١٢٧]

المقصد أن هذا المثل من أعظم الأمثال التي تصوّر لك حال الإيمان فيك، جذور الإيمانفي قلبك اسقيها، فروعه في جوارحك طيّبها لأن ما يخرج من لسانك وجوارح إن كان طيبًا فهذا الثمر الطيب، وإن كان خبيثًا فهذا الثمر الخبيث الذي يشير إلى ما في القلب من خباثة.

نكمل تفسير الشيخ:

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ **ما أمرهم به ونهاهم عنه**

يعني الذكرى تكون للأوامر والنواهي، فصورة الشيء أمامك تذكّرك أن الايمان في قلبك مثل هذه الشجرة.

فإنّ في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبيّن المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتّضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه.

فلله أتمّ الحمد وأكمله وأعمّه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها في قلب المؤمن.

إذن هذا المثل ضُرب لصفة كلمة التوحيد وثباتها في قلب من آمَن.

ممكن أن يأتي هنا سؤال:

هل لهذا المثل علاقة بما ورد في السنة عن أن النخلة تشبه المسلم، قال النبي صلى الله عليه وسلم قال أخبروني عن شجرة تشبه الرجل المسلم أنه لايتحات ورقها؟

نعم له علاقة لأن في هذا الحديث أتى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَلَا تَحُتُّ وَرَقَهَا))، قال ابن عمر: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((هِيَ النَّخْلَةُ)) فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ! قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا؟ لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا! قَالَ: "مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا فَكَرِهْتُ"[٢].

---

[٢] صحيح البخاري.

فهذا الحديث فسر الآية، أن هذا الرجل المسلم مثله مثل هذه الشجرة، لذلك فهمنا أن هذه الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) التي جعلت هذا الرجل طيبًا، فكلمة لا إله إلا الله هي التي أدخلته في الإسلام.

فقد يأتي سؤال يقول من أين لكم أن هذه شجرة الايمان في قلب المؤمن؟ نقول ممكن أن نفهم هذا جيدا من الحديث الذي ورد في البخاري ومسلم، وفيه عدة ألفاظ منها: ((من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم)) وفي رواية أخرى وصفت وصوفات تشبه الوصوفات التي وردت في كتاب الله منها: ((تؤتي أكلها كل حين)).

استفدنا من الحديث: أن نعرف أن هذا مثال للرجل المسلم، الآية تقول الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله التي تجعل هذا الشخص طيبا.

لما أحد يقول أيهما أعظم الشجرة أم النخلة؟ نقول أن الشجرة الطيبة هي النخلة، لأن النخل من الأشجار، والحديث واضح في كون أنها النخلة، فالنبي أجاب في نفس الحديث قال هي النخلة.

ننتقل للمثل الثالث في نفس السياق:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم : ٢٦].

اتفقنا على الشجرة الطيبة، نتكلم الآن عن الشجرة الخبيثة، هناك الكلمة الطيبة لا إله إلا الله، ستكون هنا الكلمة الخبيثة هي كلام الكفر، هناك كان الشجرة الطيبة هي النخلة، هنا الشجرة الخبيثة ماذا ؟ ماذا يمكن أن تكون؟

ما وصفها هذه الشجرة الخبيثة؟ اجتثت يعني استؤصلت يعني ليس لها جذر ثابت في الأرض، ما لها من قرار يعني لا أصل لها ولا فرع، وعلى ذلك تفهم حال من ضُرب له المثل، أن ليس له ثبات ولا قرار .

نرى الشيخ السعدي ماذا يقول في تفسيره:

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها فقال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ المأكل والمطعم وهي شجرة الحنظل ونحوها،

إذن هنا الشجرة الخبيثة الحنظل، أو غيرها مما عُرف خبثه.

﴿اجْتُثَّتْ﴾ هذه الشجرة ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها –في الأرض–، **ولا ثمرة صالحة، تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة.**

كذلك كلمة الكفر والمعاصي،

كل كلام الكفر والمعاصي وكل من قال كلمة تجعله من أهل الكفر.

ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضرّ به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره.

قد يقال: لكن هناك أهل الكفر ينفعون أنفسهم وينفعون غيرهم!

سنعود مرة أخرى لفهم معنى النفع، وأن من كان ليس له ثبات وليس له إرادات فيما عند الله يتصور هو ويتصور من معه أن أعماله نافعة، وهذا تكلمنا عنه لما تكلمنا عن مثل السراب، قلنا أعمال هؤلاء كالسراب، السراب الناظر إليه يحسبه ماءً، وهؤلاء الناظر إلى أعمالهم يحسبها نافعة تنفعهم أو تنفع غيرهم، وأنت ترى أن الله يسخّر لنا على أيديهم ما ينفعنا، لكن هذا الذي يعملوه لهم ليس بنافع، يعني كل ما يطورون ويفعلون من أفعال تزدهر معها الدنيا كل هذا ليس نافعا لهم ولا نافع لغيرهم ممن سار على سيرهم، لكن يبقى أن الله يسخّر لنا معاشر المسلمين أن ننتفع من تسخيرهم لنا، لكن هم انظر إلى ما طوروا من آلات، وانظر إلى ما حصّلوا من أموال أنفقوها فيما يهلكهم، أهلكهم الله بذنوبهم، وأنت ترى أن القوم ينفقون ما ينفقون من أجل أن يسعدوا، وفي نهاية المطاف لا يسعدون، فهم في سكرة لا يُرشَدون إلى الحق لأنهم مانعوا الحق في قلوبهم.

المقصود أن هؤلاء لا تغترّ بهم، فأعمالهم مهما ظهر أنها تنفعهم أو تنفع غيرهم فهي في حقهم لا شيء، وفي حق غيرهم من سار على سرهم لا شيء، لكن يسخّر الله منهم من ينفع المسلمين.

هؤلاء في أعمال الآخرة وصفنا بتكرار أحوالهم، وقريبا في سورة إبراهيم وصفنا، لذلك لما تنظر إلى السياق تجد أن أعمالهم وصفت ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ فهؤلاء من نطقوا بكلمة الكفر وعاشوا حياة الكفر ليس في قلوبهم ثبات بل ضياع وتيه، ثم ليس في أعمالهم على الأقل التي يتقربون بها إلى الله ما ينفعهم أو ينفع غيرهم .

إذن الشجرة الطيبة هي المؤمن، والكلمة الطيبة شُبّهت بالشجرة الطيبة لأن المؤمن هو الذي تصدر منه الكلمة الطيبة، فكأن مقصود الكلام أن كلمة طيبة وقائلها، اتفقنا أن المؤمن ثابت في الأرض وأقواله وأفعاله صاعدة إلى السماء، فكل عمل صالح من طاعة، من كلمة طيبة، من طلب رضا الله، من نفع الإخوان، هذا كله بمثابة الاكل الذي تخرجه هذه الشجرة في كل حين.

والثاني: ضُرب له مثل بالشجرة الخبيثة، اتفقنا أن الشجرة الخبيثة ممكن أن تكون الحنظل، المقصد المهم أن الشجرة الأولى تؤتي أكلها كل حين نفعًا مع ثباتها، في مقابل أن هذه الثانية ضعيفهة بل مستأصلة، ما تثبت في الأرض، فالكافر هذا والمنافق ترى الكلام عن الإيمان أمر لا يستقر في قلبه، دائمًا هو متقلّب، دائمًا فيه ضعف، في مقابل المؤمن قوي في إيمانه.

انظر بعد ذلك كيف رتب الله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ما هو القول الثابت الذي نسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا عليه؟

كلمة الإخلاص لا إله إلا الله وإقرار بنبوة محمد رسول الله، وهذا أمر عام من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، لا إله إلا الله والإقرار بالنبوة كلّ على حسب نبيه.

هذا الثبات يكون متى؟ في الحياة الدنيا وقت القبض وما بعده، وأيضا ما قبله، فوجود لا إله إلا الله سبب لثبات الإنسان، وفي الآخره يوم القيامة يوم يعرض الناس على ربهم.

المقصود أن نتأمّل مسألة الثبات وأثره، فثبات الإيمان أثره أن الله عز وجل يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ومن المؤكد أن الضد بالضد.

نقرأ كلام لابن القيم في تعليقه على هذان المثلان وفيه كلام عن الثبات:

"شبه –سبحانه وتعالى –الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ﴿أصلها ثابت﴾ قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن، وفروعها في السماء يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء".

هذه الكلمة الطيبة سبب لرفع عمل المؤمن إلى الله، كون أنه قال لا إله إلا الله فأعماله الصالحة ترفع، في مقابل أن من لم يقولها بشروطها إذا عمل أعمالًا لا تُرفع.

وقال الربيع بن أنس: الكلمة الطيبة هذا مثل الإيمان، فالإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه –في الإيمان–، وفرعه في السماء خشية الله، والتشبيه على هذا القول أصحّ وأظهر وأحسن، فإنه سبحانه شبّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفروع في السماء علوًّا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وإذا تأمّلت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت.

يعني هي شجرة التوحيد في القلب، لابد أن تثمر الأعمال الصالحة كل وقت.

بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها –بلا إله إلا الله– **بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله**

من جهة ما يعتقد فيه وفي كمال صفاته.

ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله،

يعني هذا هو التوحيد، التوحيد فيه قلب يعرف حقيقة ما يثبته لله، وكيف أنه ينفي هذه الحقيقة عن كل ما سواه.

وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا، غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلًا، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلًا، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلاما كثيرا طيبا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح إلى الكلم الطيب كما قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب

والعمل الصالح يرفعه﴾ فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا متصفًا بموجبها قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء، -مثل النخلة- وهي مخرجة لثمرتها كل وقت.

ومن السلف من قال إن الشجرة الطيبة هي النخلة، ويدل عليه حديث ابن عمر الصحيح، ومنهم من قال: هي المؤمن نفسه .

يعني المؤمن هو الكلمة الطيبة شُبّه كشجرة طيبة، فالمؤمن مثال الشجرة الطيبة.

ويعني بالأصل الثابت في الأرض والفرع في السماء يكون المؤمن يعمل في الأرض ويتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء وهو في الأرض.

يعني المؤمن هو الكلمة الطيبة هنا، وليس أن لا إله إلا الله في قلب المؤمن، مثل الشجرة الطيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، يعني هو في الأرض وعمله في السماء.

وقال عطية العوفي في قوله ﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ قال: ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله.

وقال الربيع بن أنس ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ قال: ذلك المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له، أصلها ثابت قال أصل عمله ثابت في الأرض وفرعها في السماء قال: ذكره في السماء.

ولا اختلاف بين القولين والمقصود بالمثل المؤمن

المقصود المؤمن في كل الأحوال سواء كلمة الإخلاص في قلبه أو هو بنفسه.

والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك.

يذكر الآن من لوازم هذا المثل:

وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته، فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به، فعروقها العلم والمعرفة واليقين.

هذه عروقها في قلب المؤمن، علمه عن الله، ومعرفته به سبحانه وتعالى، ويقينه بهذا كله.

وساقها الإخلاص، وفروعها الأعمال، وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل –السمت– المرضي، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور .

كيف تعرف أن في قلبك هذه الشجرة؟ بهذه الأمور..

فإذا كان العلم صحيحا مطابقا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به

يعني إذا كان العلم الذي تستقيه وفي قلبك يطابق ما في كتاب الله.

والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله

هذا من جهة العلم والمعرفة واليقين.

والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر والهدي والدل والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء.

نحتاج أن نرى ما في قلوبنا من علم ومقدار يقيننا به ثم ناتج إخلاصنا الذي يقوم في قلوبنا وقت قيامنا بأعمالنا، ثم نرى أعمالنا هل هي موافقة أو غير موافقة لما أمر الله، ثم نرى دلنا وسمتنا هل هو مشابه لما يحب الله ويرضا أو لا؟ كل هذا يدل على أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

كيف تعرف أن هذه الشجرة طيبة أم خبيثة؟ انظر إلى علمك يقينك إخلاصك، انظر إلى الفروع من الأعمال، انظر إلى الثمرات من الآثار الحميدة والأخلاق الزاكية، انظر إلى سمتك، كل هذا مقياس هل هي شجرة طيبة أم شجرة خبيثة.

الآن يذكر شيء مما انتفعناه من هذا المثل، وهذا سيناسبنا في الكلام حول الثبات، كونك تعرف ما نوع الشجرةفي قلبك؟

ومنها أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها

من أجل ذلك قيل لك أن الإيمان في قلبك مثل الشجرة.

فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس، فهكذا شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح والعود بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر وإلا أوشك أن تيبس.

يعني تعلم واعمل صالحا، ثم اشتغل بالتفكير، فكر في حالك ، فكر في مطابقة حالك لما أمر الله، فكر في حركات قلبك، عد بالتفكر على التذكر والتذكر على التفكر.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: ((إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلَقُ ، فَاسْأَلوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ))[٣] .

فتجديد الإيمان سبب لثباته.

وبالجملة فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك.

إذن من أهم أسباب الثبات أن نتعاهد غرسنا.

ومن هنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده بأن وظفها عليها، وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

[٣] أخرجه الحاكم ، قال الألباني صحيح

لما تنظر الى العبادات تنظر على أنها سبب لزيادة الايمان، وهذا من اكثر الأسباب التي تثبت العبد أن ينظر إلى أن الأعمال الصالحة سبب لزيادة الايمان، وعلى ذلك كيف تعرف أن هذا عمل صالح أو غير صالح؟ انظر لأثره في قلبك، فأول شعور هو الايمان الذي يزيد في القلوب،هذا من أعظم آثار العمل الصالح.

وعلى هذا انظر إلى حالك في رمضان أسأل الله أن يبلغنا ويلبسنا لباس التقوى والإيمان والقوة والطاقة لطاعته، انظر إلى حالنا إن كان كل يوم يزيد في إيماننا وتقوانا وإقبالنا على الله وإقبالنا على الطاعة فاعلم أن العمل الصالح أتت ثماره بزيادة الإيمان، وإن وجدت في نفسك خلاف ذلك فحرّر ما في عملك من نقائص، انظر لحال قلبك أثناء العمل.

ومن الفوائد في هذا التشبيه:

ومنها أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لا بد أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه، فإن تعاهده ربه –صاحبه- **ونقاه وقلعه كمّل الغرس والزرع واستوى وتمّ نباته وكان أوفر لثمرته وأطيب وأزكى، وإن تركه أوشك أن يغلب على الغرس والزرع ويكون الحكم له أو يضعف الأصل**

إذا دخل هذا الدغل والنبات الغريب إما يغطي ويأخذ ماؤه وسقاؤه أو على الأقل يضعف الأصل.

ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته، ومن لم يكن له فقه يقيس في هذا ومعرفة به فإنه يفوته ربح كثير وهو لا يشعر

يعني لابد أن تتنبه أن أعمالك الصالحة ويقينك وإيمانك في قلبك لابد أن يكون هناك من الدغل والنبات الغريب حول شجرة الإيمان في قلبك، من أمراض ابتليت بها في قلبك، من تصيد الشيطان، وأريد أن أنصحكم نصيحة أسال الله أن يجعلها خالصة لوجهه وأن ينفعني وينفعكم بها :

الشيطان أحرص ما يكون على ابن آدم بعد العمل الصالح، فلا يرتاح له بال حتى يلح عليك أن تقع في معصية، ويبذل قصارى جهده أن يحسن لك نوع من المعاصي خصوصا التي تقع فيها أصلا، وإذا لم يستطع هذا منك فأقل ما يكون أن يدخل على قلبك مشاعر الكسل عن طاعة أخرى بعد هذه الطاعة، ويشعرك أنك قمت اليوم بما يجب عليك وصليت ما يجب عليك، فإما يدفعك دفعًا إلى معصية وإما يورثك كسلا لا تتصوره! فالزم الاستعاذة من عدوك، واعلم أن هذا دغله ونبته الباطل، ونفسك أمارة بالسوء تستجيب له، فاحذر، اجعل الاستعاذة من الشيطان الرجيم علاج لكل خواطر المعصية والكسل والشعور بالطمأنينة إلى العمل وأنك قمت بما يجب عليك.

فالمؤمن دائما سعيه في شيئين: سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم، وبتنقية ما حولها تكمل وتتمّ، والله المستعان وعليه التكلان.

فهذا بعض ما تضمّنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم، ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقعة وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب وصفت الأذهان وزكت النفوس وخلصت الأعمال وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله، لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم وتتلاشى عنده معارف الخلق، وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل، والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته.

وعلى هذا فإذا أكثر العبد التوبة والاستغفار والإخلاص وتطهير القلب وصفاء الذهن، زاد من فهم معاني كلام الله.

تابع كلامه الآن في الكلام حول الكلمة الخبيثة:

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زاكية، ولا ظل ولا جنى ولا ساق قائم ولا عرق في الأرض ثابت، فلا أسفلها مغدق ولا أعلاها مونق ولا جنى لها ولا تعلو بل تعلى.

وإذا تأمّل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده كذلك، فالخسران كل الخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه.

يعني إذا نظرت إلى كتب الخلق ستجد كلهم مثل هذه الكلمة الخبيثة.

قال الضحاك: ضرب الله مثلا للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يقول: ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة، كذلك الكافر لا يعمل خيرا ولا يقوله ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة.

وقال ابن عباس: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ وهي الشرك ﴿كشجرة خبيثة﴾ يعني الكافر ﴿اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ يقول الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان فلا يقبل عمل المشرك ولا يصعد إلى الله، فليس له أصل ثابت في الأرض

ليس لها برهان يدله فيثبته.

ولا فرع في السماء

لأن الله لا يقبل عمله، الأصل الثابت في الأرض المؤمن في الأرض يعمل، والفرع في السماء يعني يصعد إلى السماء العمل.

يقول: ليس له عمل صالح في السماء ولا في الأرض.

وقال الربيع بن أنس: مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض ولا يصعد إلى السماء.

وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية: إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة؟ قال: ما أعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة.

فيحصل مثل ما ذكرنا في الآية السابقة يصبح كالرماد عمله اشتدت به الريح في يوم عاصف.

وقوله: ﴿اجْتُثَّتْ﴾ أي استؤصلت من فوق الأرض.

ثم بدأ تعليق ابن القيم على الآيات التي بعدها ونكون وصلنا لمقصودنا في الكلام حول الثبات:

ثم أخبر سبحانه عن فضله وعدله في الفريقين: أصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث، فأخبر أنه يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم.

يعني كل واحد أتى بالسبب الذي يعامله الله به، فالمؤمن أتى بالإيمان عامله الله بفضله، الكافر والمنافق أتى بالكفر عامله الله بعدله.

وتحت قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ كنز عظيم من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه

عبده ورسوله: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾، وقال تعالى لأكرم خلقه: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، وفي الصحيحين من حديث البجلي قال: وهو يسألهم ويثبتهم.

وقال تعالى لرسوله: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

كيف نغتنم هذا الكنز كما ذكر الذي قال فيه من وقف عليه فقد غنم ومن حرمه فقد حُرم؟

كيفية التثبيت:

فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت ، ومادة التثبيت وأصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل من كان أثبت قولًا وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتا، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ فأثبت الناس قلبا أثبتهم قولا، والقول الثابت هو القول الحق والصدق وهو ضد القول الباطل الكذب.

فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة، ولهذا ترى الصادق مِن أثبت الناس وأشجعهم قلبًا، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوّنا وأقلهم ثباتا، وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الإختبار وشجاعته ومهابته، ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك، ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة.

وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به فقال: والله ما فهمت منه شيئا إلا أني رأيت لكلامه صولة ليست بصولة مبطل .

هذا الكلام ليس كلام واحد من أهل الباطل.

فما مُنح العبد أفضل من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم، كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر.

التي هي قوله ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

وقد جاء هذا مبينا في أحاديث صحاح، فمنها ما في المسند من حديث داود ابن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال: ((يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول له: صدقت، فيفتح له باب إلى النار، فيقال له هذا منزلك لو كفرت بربك، فأما إذا آمنت فإن الله أبدلك به هذا، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض له فيقال له: اسكن، ثم يفسح له في قبره. وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري فيقال له لا دريت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذا كفرت فإن الله أبدلك به هذا ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين!)) قال بعض أصحابه: يا رسول الله ما منا من أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك

يعني يأتيه الهول والخوف حتى لو كان مؤمنا، فلن يستطيع أن يثبت..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾

فمعنى ذلك أن كلمة لا إله إلا الله التي سقيتها وأثمرت العمل الصالح تنفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون وتكون سببًا لثباتك وقت ما تأتي الأهوال وتنفرد عن الناس، لذلك لا ثبات إلا بها ومعرفة معناها وبذل الجهد في الإتيان بثمراتها.

وفي المسند نحوه من حديث البراء بن عازب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض روح المؤمن فقال: ((.. فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ مَا دِينُكَ ؟ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ مَا دِينُكَ ؟ مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى

الْمُؤْمِنِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ، فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ))[٤] .

وفي رواية عند الإمام أحمد وعند ابن حبان في صحيحه **من حديث أبي هريرة يرفعه قال**: ((إن الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه مدبرين، فإذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه وكان الصيام عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبلي مدخل، فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلي مدخل، فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب، فيقال له أخبرنا عما نسألك عنه؟ فيقول دعوني حتى أصلي فيقال إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك فيقول: وعم تسألوني؟ فيقال له: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟ فيقول أمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقال نعم، فيقول: أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفسح له قبره سبعون ذراعا وينور له فيه، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: انظر إلى ما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورا، ثم تجعل نسمته في النسم الطيب، وهي طير خضر تعلق بشجر الجنة ويعاد الجسد إلى ما بدأ منه من التراب وذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾))[٥] .

ولا تستطل هذا الفصل المعترض في المفتي والشاهد والحاكم بل وكل مسلم أشد ضرورة إليه من الطعام والشراب والنفَس! وبالله التوفيق.[٦]

---

[٤] مسند الإمام أحمد.
[٥] صحيح ابن حبان.
[٦] إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية.

المقصد باختصار أن أعظم أسباب الثبات هو أن تفعل ما أمرك الله به –هذا إجمالًا-.

وهناك نصوص كثيرة تدل على الثبات، لكن نشرح آية تدل على الثبات من خلال موطن واحد، هذا الموطن يدلك على أمر مهم:

أن كلمة التوحيد لو تحققت في قلبك سيأتي من ورائها الخير الكثير لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [٧] فأثبت الناس قلبًا أثبتهم قولًا.

وعلى ذلك لابد من معرفة حقيقة لا إله إلا الله من جهة شروطها وما تستلزمه، لذلك سيكون غدا كلامنا حول شروط لا إله إلا الله نختم به لقاءاتنا .. لأن هذه كلمة الثبات، فإذا تعلمت حقوقها وما لها وشروطها، تعلمت ما أمرت به ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

أحسن الله إليكم ونفعني ونفعكم بما سمعنا، وجعلنا من أهل الثبات بهذه الكلمة المباركة في الدنيا والآخرة.

---

[٧] [النساء : ٦٦]